الدولة الفاطمية (٢٩٧-٥٦٧هـ/٩١٠-١١٧١م)(المحاضرة الثالثة)

المعز لدين الله :(٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٥م)

هو ابو تميم معد ،المعز لدين الله .تسلم الحكم عام ٣٤١هـ/٩٥٣م ،خلفا لوالده .عمل على ا عادة فرض النفوذ الفاطمي في المغرب الاقصى على اثر الانتفاضات المتعددة التي قامت ضد النظام ،فأرسل قائده ومولاه جوهر الصقلي الى هناك على رأس حملة عسكرية كبيرة في عام (٣٤٧هـ/٩٥٨م) دمر خلالها مراكز المقاومة ضد الفاطميين بأستثناء المراكز التابعة للامويين في الاندلس ،فملك المغربين الاوسط والاقصى ،وثبت نفوذ الفاطميين حتى المحيط الاطلسي ،الا انه فشل في السيطرة على الثغور العسكرية الاموية المطلة على المضيق .

وتطلع المعز الى غزو الاندلس ،ورأى ان احتلاله لهذا البلد سوف يجعل المغرب الاسلامي كله خاضعا للفاطميين ،وبهذا ينقسم العالم الاسلامي الى قسمين ،القسم الشرقي التابع للخلافة العباسية ،والقسم الغربي التابع للدولة الفاطمية .

ويبدو ان الدعوة الفاطمية في الاندلس ،لم تستقطب سوى عدد محدود من الانصار بسبب تجذر المذهب السني في نفوس الاندلسيين .

على ان الحكومة الاموية في الاندلس لم تقف مكتوفة الايدي امام اطماع الفاطميين في المغرب والاندلس ،فقاومت المد الفاطمي بتدابير سياسية وعسكرية حدّت من اندفاعه.

واستغل المعز موقع جزيرة صقلية العسكري ليصد جميع الحملات التي كان يوجهها الامويون والبيزنطيون الى افريقية ،كما اتاح له مركزه القوي في الجزيرة مهاجمة سواحل ايطاليا الجنوبية .

وبعد ان دانت بلاد المغرب للمعز ،واستتب الامن في كافة ارجائها التفت الى مصر للاستيلاء عليها مدفوعا بعدة عوامل منها :

١- الاستفادة من ثروتها ومواردها الاقتصادية ،ذلك ان بلاد المغرب كانت لاتكفي حاجة الفاطميين الاقتصادية .

٢- اهمية موقعها الجغرافي من الناحيتين السياسية والعسكرية .

٣- قربها من بلاد الشام وفلسطين والحجاز التي كانت تابعة لمصر منذ عهد الطولونيين

٤- ان استيلاء الفاطميين على مصر يمهد لهم الطريق لبسط نفوذهم على الحواظر الاسلامية مكة والمدينة ودمشق وبغداد .

٥- انتشار الاضطرابات والفوضى في مصر اثر وفاة كافور الاخشيدي في عام (٣٥٧ه/٩٦٨م) وعدم وجود شخصية قوية تخلفه ،من البيت الاخشيدي .

٦- ضعف الخلافة العباسية وتراجع نفوذها في بلاد الشام ومصر .

٧- تبين للمعز ان اوضاع دولته في شمالي افريقية ستبقى مزعزعة لان الناس في هذه البلاد كانوا يكرهون الدولة الفاطمية ،وقبيلة كتامة لم تعد على وفائها الاول للبيت الفاطمي ،وسكان المغرب الاوسط ساخطون على الاسرة الفاطمية التي لم يروا منها سوى الاذى والنهب،وكان على الدولة ان تخوض صراعا مكلفا في المغرب الاقصى مع دولة الخلافة الاموية القوية في الاندلس .

اختار المعز ابا الحسن جوهر الصقلي لقيادة جيشها الذي ارسله الى الشرق في عام ٣٥٨(ه/٩٦٩م)فدخل مصر دون مقاومة تذكر وتسلم الحكم ،واعطى الامان لاهلها ،وبذل جهدا مضنيا في استرضاء شيوخ المصريين .

والواقع ان استيلاء الفاطميين على مصر كان انقلابا حقيقيا من النواحي الدينية المذهبية ،والثقافية ،والاجتماعية ،صحبه تحول ظاهر في نظام الحكم الذي دان بالمذهب الاسماعيلي .ومع دخول الفاطميين الى مصر تزايد دورهم في العالم الاسلامي .

حكم جوهر الصقلي مصر ،نيابة عن المعز الفاطمي ،مدة اربع سنوات تقريبا (٣٥٨-٣٦٢ه/٩٦٩-٩٧٣م) واقترن اسمه بالمحاولات التي بذلها لبسط سلطانه على بلاد الشام ،حيث ارسل قائده جعفر بن فلاح ،فأستولى على الرملة ،ودمشق ،وأقام الخطبة فيها للمعز ،وواجه البيزنطيين في انطاكية ،واعترف الحمدانيون في حلب بالدولة الفاطمية .

ولعل اهم انجازاته ،تلك المنشأت الكبيرة التي تمت في عهده ،وفي مقدمتها تأسيس مدينة القاهرة التي اقام فيها قصر مولاه ،والجامع الازهر .ثم اخذ ينشر المذهب الاسماعيلي بين المصريين متبعا في ذلك الوسائل السلمية .فألغى الخطبة للخليفة العباسي وأقامها للمعز ،وضرب السكة بأسمه ،ومنع لبس السواد شعار العباسيين ،وفرض الملابس الخضراءشعار العلويين .

وعندما اضحت الظروف مهيأة لاستقبال المعز في القاهرة ،كتب جوهر اليه للحضور الى مصر لتولي شؤونها ،فوصل اليها في رمضان سنة ٣٦٢ه/حزيران٩٧٣م) وبأنتقال المعز الى مصر تنتهي المرحلة الاولى من مراحل التاريخ الفاطمي .

المرحلة الثانية /مرحلة القوة والتوسع (٢٦٢-٤٨٧ه/٩٧٣-١٠٩٤م)

سياسة المعز الداخلية

اهتم المعز بعد تسلمه الحكم في مصر ،بنشر الدعوة الاسماعيلية بما

عرف عنه من تقوى وورع ،ووضع لذلك نظاما دقيقا كي يسير عليه دعاته ،الا انه ادر كان مصر بما فيها من مسلمين سنة وذميين لن تكون ارضا خصبة للتبشير ،لذلك لم يعمد الى نشر الدعوة الفاطمية الا في نطاق محدود .واستعاض عن تحويل مسلمي مصر السنيين الى المذهب الاسماعيلي ،بأستقطاب اهل الذمة ،فأسند اليهم مناصب الدولة العليا .وامعن في اظهار الشعائر الدينية المخالفة لشعائر اهل السنة ،كالاذان بـــ(حي على خير العمل) والاحتفال بيوم عاشوراء وعيد الغدير ،واقترن ذلك بأعتداءات على اهل السنة الذين قاموا بأظهار شعائرهم في خطوة مضادة ،وعلى الرغم من انه لم يكن ميالا الى حياة الترف ،الا انه يعد اول من استن الفخامة والابهة في حياة الفاطميين .

سياسة المعز الخارجية :

بعد ان اصبحت القاهرة مقر الدولة ،تطلع المعز الى بسط نفوذه على بلاد الحجاز ليكسب حكمه قوة امام العالم الاسلامي .ذلك ان السيادة على الحرمين الشريفين مكة والمدينة ،عدت من مستلزمات الخلافة ،وان من يظفر بها يعد خليفة المسلمين الحقيقي .فتدخل المعز في النزاعات الداخلية التي كانت قائمة هناك ،فأرسل رسولا من قبله لفض الخلافات بين بني الحسن وبني جعفر بن ابي طالب .ثم بادر حسن بن جعفر الحسني ،فأستولى على مكة ودعا للمعز على منابرها ،فبعث اليه المعز تقليدا بالحرم واعماله .كذلك اقيمت الخطبة للمعز في المدينة ،وحذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة في كل من المدينتين المقدستين .

اما في بلاد الشام فقد واجه الحكم الفاطمي ثلاثة اخطار ،تمثل الخطر الاول بخروج القرامطة بعد ان استنجد بهم اهل دمشق ليخلصوهم من

الحكم الفاطمي ،واشتبك الحسن بن احمد القرمطي الملقب بالاعصم مع القائد الفاطمي جعفر بن فلاح في قرية الدكة قرب دمشق ،وتغلب عليه وقتله ،واستولى القرامطة على دمشق ،وأمر زعيمهم بلعن المعز ،وتابع زحفه بأتجاه مصر في عام (٣٦٣ه/٩٧٤م) وهدد القاهرة الا انه رد على اعقابه .اما الخطر الثاني فتمثل بخروج افتكين التركي من بغداد الى دمشق لطرد الفاطميين منها ،وكانوا قد اعادوا سيطرتهم عليها اثر انهزام القرامطة وانسحابهم منها ،واقام الخطبة للخليفة العباسي ،ونجح في دخول المدينة بغير قتال ،وخرج الفاطميون منها .

اما الخطر الثالث فتمثل بمحاولة البيزنطيين استعادة نفوذهم في بلاد الشام ،فأستغلوا تضعضع اوضاع هذه البلاد ،فهاجموا دمشق ،وانتشروا في ربوعها يسلبون ويقتلون ،فصرفهم افتكين عنها بما بذل لهم من المال ،كما هاجموا المدن الساحلية .وتجدد في ذلك الوقت خطر القرامطة ،ويبدوا ان افتكين قد استنجد بهم لمقاومة الضغط الفاطمي المتجدد على دمشق .وقرر الطرفان طرد الفاطميين نهائيا من بلاد الشام ،فهاجم القرامطة يافا وصيدا وعكا ،وتفاقم خطرهم .وتوفي المعز قبل ان يتمكن من وضع حد لهذه الاخطار .

واهتم المعز بتقوية البحرية الفاطمية ،ولاشك بأن وضعه في مصر فرض عليه ان يقوم بهذا العمل ،فبنى الشواتي الضخمة ،والسفن الحربية المختلفة ،وهو اول من وضع نظام البحرية الفاطمية في مصر . توفي المعز الفاطمي سنة (٣٦٥ه/٩٧٥م).